

الأستاذ: قوراري السعيد

المستوى: أولى ليسانس (جذع مشترك).

المادة: النص الأدبي القديم (نثر). محاضرة

المجموعة: الأولى (الأفواج: 1-2-3-4-5)

تاريخ الإرسال: الجمعة 03 أفريل 2020م

ملحوظة: أربع محاضرات من بين أربع عشرة محاضرة

في انتظار استكمال باقي المحاضرات.



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة العربي بن مهيدي
أم البواقي



كلية الآداب واللغات قسم اللغة والأدب العربي

محاضرات في النص الأدبي
القديم (نثر)

المستوى: أولى ليسانس

السداسي: الأول

التخصص: جذع مشترك أدب عربي

إعداد الدكتور: قوراري السعيد

السنة الجامعية: 2020/2019م

1441/1440هـ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:
عرف العصر الجاهلي فنونَ الأدب من الشعر وأنواع النثر في العصر الجاهلي، فهي على الرغم من قلتها وضياح أكثرها بسبب اعتماد أهل ذلك العصر على الرواية الشفوية، إضافة إلى أثر الزمن الذي يفصلنا عنهم، تعد من أجود أنواع الأدب وأفصحها وأكثرها بلاغة، فقد ظل الشعر وأنواع النثر في العصر الجاهلي مدرسة يتبعها الأدباء ويسيروا على نهجها أزماناً، فقد كان أهل ذلك العصر أهل الفصاحة والبيان وتحداهم الله تعالى بمعجزة من جنس ما يبدعون، وتنوعت إبداعاتهم الأدبية بين الشعر كشعر المعلقات وشعر الصعاليك، وبين النثر كالخطابة والأمثال والوصايا.

وهذه مجموعة من المحاضرات في مادة النص الأدبي القديم (نثر) موجهة بصفة خاصة إلى طلبة السنة الأولى من نظام ل.م.د في قسم اللغة والأدب العربي بجامعة العربي بن مهدي أم البواقي. وفق المقرر الوزاري المتضمن مفردات مقياس النص الأدبي القديم (نثر) للسداسي الثاني، حيث تضمن المقرر الموضوعات الآتية:

السداسي الثاني وحدة التعليم الأساسية	مادة النص الأدبي القديم (نثر)	المعامل: 03	الرصيد: 05
1	النثر العربي القديم تاريخيا وجغرافيا		
2	الخطابة		
3	نصوص من خطب صدر الاسلام		
4	الأمثال والحكم		
5	السرد. حكايات ألف ليلة وليلة		
6	الحكاية على لسان الحيوان (كليلة ودمنة)		
7	المقامات بديع الزمان الهمداني ومقامات الحريري. منامات الوهراني		
8	الرسائل الديوانية والإخوانية في المشرق والأندلس والمغرب		
9	الرسائل السياسية في المشرق والأندلس والمغرب		
10	الرسائل الأدبية في المشرق والأندلس والمغرب		
11	أدب الرحلة في المشرق		
12	أدب الرحلة في الأندلس والمغرب		
13	أدب التصوف في المشرق والأندلس والمغرب		
14	النثر الجزائري القديم		

ولقد اعتمدت في تحضيرتي لهذه الدروس على جملة من المصادر والمراجع المختصة، إذ لا يمكن اختياري لها بالاعتباطي، وإنما كان نابعا من الرغبة في تقديم صورة صحيحة ومعقدة لهذه الموضوعات المقررة، مع العلم أن طلابنا قد أخذوا جل هذه الموضوعات في دراساتهم السابقة، لكن بإيجاز وتبسيط، وكم كنت حريصا على تقديم المعلومة بأسلوب سهل يمكن الطالب من استيعابها، ويجعله يتذوقها، والله أسأل أن ينفعني بما علمني ويزيدني علما.

بأم البواقي في: 2020/04/03

د/ السعيد قوراري

المحاضرة 01: النثر العربي القديم تاريخيا وجغرافيا.

الأدب العربي الأقدم الذي وصل إلينا هو الأدب الجاهلي، ووصلنا منه شعر ونثر مع اختلاف بينهما في الكم والكيف، فما وصل من شعر كثير قياسا إلى النثر الذي كان في أغلبه خطب وأسجاع غير مكتملة، وبعض المناظرات والمنافرات الأدبية، وأمثال متفرقة؛ ولهذا أنكر بعض المستشرقين ومنهم (المسيو مرسيه) هذا النثر، وادعوا أنه نثر منحول كتب في العصور التي تلت نزول القرآن وليس قبله، وحثهم أن العرب قبل الإسلام " كانوا يعيشون عيشة أولية.

والحياة الأولية لا توجب النثر الفني لأنه لغة العقل وقد تسمح بالشعر لأنه لغة العاطفة والخيال"، بمعنى أن العرب أمة جاهلة بدائية لا يمكنها أن تنتج نثرا فنيا؛ لأن النثر الفني نتاج التفكير والوعي المتقدم، لذا هو يحتاج إلى بيئات متحضرة مدنية، على عكس الشعر الذي هو نتاج البيئات البدائية لأنه لغة العاطفة والخيال ولهذا برع به العرب.

لقد ردّ زكي مبارك على (مرسيه) بأن العرب في الجاهلية امتلكوا بنية عقلية وفكرية تتيح لهم أن ينتجوا نثرا والدليل على ذلك القرآن نفسه، فهو نزل بلغة عربية وبمستوى فني وأسلوب يفتح لعرب الجاهلية آنذاك أن يفهموه ويعوا ما فيه من عقائد وقوانين وعبادات وأوامر ونواهي وقصص... الخ، لأن غاية الرسالة أن يفهمها المرسله إليه، والقرآن كما هو معروف عالي الجودة وغني الأساليب، وهذا يدل على أنهم امتلكوا وعيا فكريا يفتح لهم فهم الرسالة، فضلا عن ذلك القرآن نفسه يصف هؤلاء العرب ولاسيما عرب مكة، بأنهم كانوا خصوما للذم وأعداء أشداء في المخاصمة والمحااجة والجدل. ولا يستبعد أنهم أنتجوا نثرا يرقى فنيا إلى مستوى ما أنتجته الحضارات الإنسانية الأخرى، لكنه لم يصل⁽¹⁾.

تعريف بالنثر:

قسمت العرب نصوص اللغة إلى صنفين: صنف منظوم بوزن وإيقاع وقافية؛ أسمته شعرا. وصنف منثور لا وزن له ولا قافية؛ أسمته نثرا. وما يهنا هنا هو النثر لا الشعر.

النثر في اللغة:

جاء في لسان العرب " النثر نثر الشيء بيدك ترمي به متفرقا مثل نثر الجوز واللوز والسكر⁽²⁾ .
النثر في الاصطلاح:

(1) - ينظر: زكي مبارك، النثر الفني في القرن الرابع، دار الكتب المصرية القاهرة، 1352هـ / 1934م، الجزء الأول، ص ص: 106-107.

(2) - ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم. لسان العرب، مادة: (نثر)، ج 16، ط 1. دار صادر، بيروت، 1374هـ - 1955م.

هو الكلام المتفرق الذي لا يلتزم بالقافية والوزن، والنثر نوعان: فني، وغير فني. أما النثر الفني فتستخدم فيه الفنون البلاغية المعنوية كالتشبيه والاستعارة والتورية وكافة أنواع المجاز، والمحسنات اللفظية كالجناس والمطابقة والسجع والمقابلة. وأما غير الفني فهو الكلام العادي الذي يستخدمه الناس للتواصل فيما بينهم للتفاهم ولقضاء احتياجاتهم الحيوية. وكذا الكلام العلمي الذي يصف الظواهر والأشياء بلغة دقيقة لا خيال فيها، لغة تهدف إلى إيصال حقيقة ما، وليس إبراز الموهبة البلاغية والمهارة القولية، ومنه التقارير العلمية والرسمية والكتابة الوظيفية المقتصرة على طلب أو شكوى أو تظلم ونحوها. والذي نتحدث عنه وندرسه هنا هو النثر الفني الذي يحوي ملامح أدبية وبلاغية من نوع ما⁽¹⁾.

النثر أحد قسمي القول، فالكلام الأدبي كله إما أن يصاغ في قالب الشعر المنظوم وإما في قالب القول المنثور. ولابن رشيق المسيلي القيرواني " وكلام العرب نوعان: منظوم ومنثور، ولكل منهما ثلاث طبقات: جيدة، ومتوسطة، ورديئة، فإذا اتفقت الطبقتان في القدر، وتساوتا في القيمة، لم يكن لإحدهما فضل على الأخرى، وإن كان الحكم للشعر ظاهراً في التسمية.

يشرح ابن رشيق أن أصل التسمية في المنظوم وهي من نظم الدر في العقد وغيره، إما للزينة أو حفظاً له من التشتت والضياع، أما إذا كان الدر منثوراً. لم يؤمن عليه ولم ينتفع به. من هنا حصلت عملية تشبيه الكلام الأدبي بالدور والمجوهرات وتوهم الناس أن كل منظوم أحسن من كل منثور من جنسه في معترف العادة.

وذلك بالنظر إلى سهولة حفظ الكلام المنظوم واستظهاره بسبب الوزن، وانعدام الوزن في الكلام المنثور يجعله عرضة للنسيان والضياع، وذلك في وقت كان الناس فيه يتداولون النصوص الأدبية مشافهة دون الكتابة في هذا العصر الجاهلي والعصر الإسلامي الأول، وقد زال هذا التفاضل في عصور التدوين وكتابة النصوص كما في زماننا الحاضر، بحيث اختصَّ كلُّ من النثر والشعر بمجالات في القول تجعله أليق به. ويعتقد ابن رشيق محقاً: إن ما تكلمت به العرب من جيد المنثور أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون، وهو يقصد بذلك تلك الحقبة الزمنية قبل الإسلام وبدايات العهد الإسلامي تخصيصاً.

وجاء هذا رداً كافياً على الذين ينفون وجود نثر فني عربي جيد قبل الإسلام، وإنما كان ضياع ذلك النثر الجاهلي أو اختلاطه بسبب طبيعته الفنية الخالية من الوزن. وهو لم يعن بذلك إلا النثر الفني أي الأدبي الذي يتوفر - كما ذكر بروكلمان - "على قوة التأثير بالكلام المتخير الحسن الصياغة والتأليف في أفكار الناس وعزائمهم". أما النثر الاعتيادي الذي يستعمل بين الأفراد في التداول اليومي الغرض الاتصال وقضاء الحاجات والترثرة مما ليس فيه متانة السبك والتجويد البلاغي ولا قوة التأثير فلا يعتد به، وليس

(1) - البشير المجذوب، حول مفهوم النثر الفني عند العرب القدامى، الدار العربية للكتاب، د. ط، د.ت، ص: 11.

له قيمة اعتبارية في الدراسة الأدبية. إن ما روي من النثر الجاهلي قليل بالنسبة لما روي من الشعر، وذلك لسهولة حفظ الشعر لما فيه من إيقاع موسيقي والاهتمام بنبوغ شاعر في القبيلة يدافع عنها ويفخر بها، وقلة أو انعدام التدوين، والاعتماد على الحفظ والرواية⁽¹⁾.

3 - النثر ومسألة الأسبقية والأفضلية:

إن الحديث عن النثر في الأدب العربي يرد عند كثير من الدارسين في إطار مقارنته بصنوه المتمثل في الشعر. وهي مقارنة تجعل منه، غالباً، جنساً أدبياً أدنى مرتبة من الشعر، أو أضعف تأثيراً، أو أقل حضوراً. وهذا ما تفصح عنه أقوال بعض القدامى: «قال السلامي: من فضائل النظم أن صار لنا صناعة برأسها، وتكلم الناس في قوافيها، وتوسعوا في تصاريفها وأعاريضها، وتصرفوا في بحورها... وما هكذا النثر، فإنه قصر عن هذه الذروة الشامخة، والقلة العالية... وقال ابن نباتة: من فضل النظم أن الشواهد لا توجد إلا فيه، والحجج لا تؤخذ إلا منه، أعني أن العلماء والحكماء واللغويين يقولون: "قال الشاعر"؛ و"هذا كثير في الشعر"، و"الشعر قد أتى به"، فعلى هذا الشاعر هو صاحب الحجة، والشعر هو الحجة».

إن الشعر يفضل النثر لكونه أصبح صناعة لها قواعدها المتعارف عليها. كما أنه مصدر للاستشهاد والاحتجاج، فمنه يستقي العلماء والحكماء واللغويون حججهم وشواهدهم.

وفي المقابل نجد مواقف أخرى تنتصر للنثر لكونه الأصل الذي يشرف على فرعه وهو الشعر، على الرغم من أن أصحابها يعترفون بأن لكل منهما محاسن ومساوئ؛ يقول أبو حيان التوحيدي: «وسمعت أبا عابد الكرخي صالح بن علي يقول: النثر أصل الكلام، والنظم فرعه؛ والأصل أشرف من الفرع، والفرع أنقص من الأصل؛ لكن لكل واحد منها زائناً وشائناً». بيد أن مثل هذه المواقف والتصورات استحالت، في مراحل معينة من تاريخ الأدب العربي، إلى قناعات أدبية وفكرية يتعذر تغييرها أو تعديلها لما أصبح لها من مصداقية يشهد بها التاريخ والأدب نفسه؛ علماً بأن التاريخ إذا منح السبق لظاهرة ما، فإن ذلك لا يعني أنه يسمو بها فنياً أو يؤثرها جمالياً.

يمكن القول، إذن، إن التنازع بين الشعر والنثر مر بمرحلتين هما: «المرحلة الأولى، اكتسبت طابع صراع وجودي بين الشعر والنثر، حيث دارت أهم المناقشات حول الأسبقية في الوجود (الأصل الفرع) أو أهمية المصدر (العقل، القلب)». و«المرحلة الثانية، تميزت ب بروز الوعي النقدي للجمع بين الشعر والنثر، في ظل مفهوم جديد هو ما اصطلاح عليه لدى العسكري بالكتابة».

(1) - ينظر: شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، مكتبة الأندلس بيروت، الطبعة الثانية، 1956م، ص: 127.

لهذا فإن النظر إلى الشعر والنثر باعتبارهما ثنائية يحكمها التضاد أو التنازع مسألة ما تزال تطرح بشكل مغلوطن؛ إذ من المعلوم أن «قضية الشعر والنثر طرحت من زوايا متعددة؛ كالنظر للنثر باعتباره منافسا للشعر»⁽¹⁾.

من هنا كان الموقف السليم، في نظرنا، يتمثل في معالجة قضية تنازع الشعر والنثر في إطارها الطبيعي وهو مسألة الأجناس الأدبية من حيث ظهور الأجناس وتطورها وتداخلها وتفاعلها واندثارها؛ خاصة و«أن الأنواع تعيش وتتمو... وفي بعض الأحيان، يتفكك النوع الأدبي»⁽²⁾.

إن الأجناس والفنون الأدبية تنبثق، في سياق تاريخي محدد، من تراكم التجارب الإنسانية والفنية وتفاعل الأشخاص مع محيطهم لتستجيب لحاجات نفسية واجتماعية وفنية. ولهذا كانت «مصادقية النوع تستمد من وظيفته، التي تتجاوز في بعض الأحيان حدود الأدبي إلى ما هو تاريخي أو اجتماعي».

وبناء على هذا، فإن الحديث عن النثر في الأدب العربي يستوجب الالتزام بمجموعة من التحديدات حتى لا يظل حديثا ملتبسا؛ علما بأن هذه التحديدات تتعلق بالأجناس النثرية وما ارتبط بها من مفهومات، وما تمخض عنها من أشكال وخصائص فنية، ومضامين متنوعة، وما طرأ عليها من تغييرات فرضتها سياقات التاريخ، أو ضرورات الفن، أو حاجات الإنسان.

ولهذا فإن الموقف السليم يتمثل في النظر إلى النثر باعتباره إضافة فنية نوعية لم تتبلور لتنافس الشعر، وإنما لتغني الأدب العربي، ولتفتح آفاقا أخرى للتعبير، واتخاذ المواقف، والنظر إلى الأمور من زوايا أخرى.

ولكن رغم ما عرفه النثر من تطور وتحول شملا أنواعه وموضوعاته، فإنه ظل الجنس الأدبي الأقل حضورا وتأثيرا في الإنسان والحياة العربيين. ولقد عالج القدامى هذه الظاهرة، وذهبوا في تفسيرها مذاهب، تحكمت فيه الميولات والأهواء والمصالح أو القناعات والحقائق؛ يقول أبو القاسم الإشبيلي: «وإنما خصصت المنثور لأنه الأصل الذي أمن العلماء - لامتزاجه بطبائعهم - ذهاب اسمه فأغفلوه؛ وضمن الفصحاء - لغلبته على أذهانهم - بقاء رسمه فأهملوه، ولم يحكموا قوانينه، ولا حصروا أفانينه»⁽³⁾.

لهذا النص/ الشهادة قيمتان: قيمة تاريخية. فكرية، وأخرى علمية. فالأولى تعكس وعي القدامى المبكر بإشكال النثر في الأدب العربي. أما القيمة العلمية أو النقدية فتتجلى في سعيها إلى تفسير ما لحقه من إهمال لأسباب متعددة.

وعموما، يمكن أن نستنتج من النص السابق ما يلي:

(1) - زكي مبارك، النثر الفني في القرن الرابع، ص: 116.

(2) - م. غلويينسكي، الأجناس الأدبية، ترجمة: محمد مشبال، مجلة الصورة، السنة الرابعة، العدد الرابع، 2002، ص: 13.

(3) - زكي مبارك، النثر الفني في القرن الرابع، ص: 126.

أ - إن أبا القاسم الإشبيلي يجعل النثر هو الأصل، لهذا كان الأحق بالاهتمام والدراسة.
ب - إن العلماء أغفلوا النثر لأنهم اطمأنوا إلى عدم اندثاره لكونه يشكل جزءا من طبائعهم إذ هو لسانهم وترجمان أحوالهم.

ج - أما الفصحاء فأهملوهم لكونهم ضمنوا بقاءه ودوامه لارتباطه وغلبته على ملكاتهم الذهنية.
د - من هنا كانت أسباب الإغفال والإهمال تتحصر في اقتناع العلماء والفصحاء، واطمئنانهم إلى قدرة النثر على البقاء والاستمرار.

هـ - بيد أن موقف أولئك العلماء والفصحاء قد ترتبت عليه انعكاسات ونتائج سلبية إذ ظل النثر دون تععيد، فلم تضبط قوانينه، كما لم تحصر فنونه. يقول أبو القاسم: « ولم يحكموا قوانينه، ولا حصروا أفانينه»⁽¹⁾.

ولا يخفى ما يتضمنه كلام أبي القاسم من إشارات في غاية الأهمية لكونها تدرج ضمن الوظائف التصنيفية والتجنيسية التي يجب أن يضطلع بها مبدعو الأدب ومؤرخوه ودارسوه. ولعل هذا ما حاول أن يقوم به أبو القاسم من خلال تأليفه لكتاب (إحكام صنعة الكلام) إذ يشي عنوان الكتاب بذلك، ويصدق مضمونه إلى حد كبير.

4 - موضوعات النثر وخصائصه:

يتردد كثيرا أن كل فن أدبي يختص بموضوع أو غرض معين دون الموضوعات أو الأغراض الأخرى، وذلك اعتمادا على مجموعة من المعطيات الشكلية والأسلوبية والدلالية؛ علما بأن مثل هذه المعطيات أصبحت من المعايير التي يمكن توظيفها في تصنيف النصوص الأدبية وتجنيسها. وهكذا، نجد في (المقدمة) التنبيه التالي: «واعلم أن لكل واحد من هذه الفنون أساليب تختص به عند أهله ولا تصح للفن الآخر، ولا تستعمل فيه، مثل النسب المختص بالشعر، والحمد والدعاء المختص بالخطب، والدعاء المختص بالمخاطبات وأمثال ذلك»⁽²⁾.

2 - النثر وأشكال الأجناس الأدبية:

سبقت الإشارة إلى أن أجناس الكلام، حسب أبي هلال العسكري، ثلاثة هي: الرسائل والخطب والشعر. والحقيقة أن الرسائل والخطب جنسان أدبيان يندرجان ضمن فن أو جنس عام هو النثر؛ يقول البشير والظاهر أن تصنيف النثر إلى خطب ورسائل ناتج عن اعتماد معيار واحد هو الشكل. والحقيقة غير ذلك؛ وذلك لأن أنواعا نثرية أخرى يتم إغفالها فلا تذكر، ومنها المقامة التي تختلف شكلا ومضمونا عن الخطب المجذوب: «أما النثر فما ورد في حقه من تعريف لا يتعدى التقسيم والتصنيف، فهو باعتبار

(1) - شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، ص: 138.

(2) - المرجع نفسه، ص: 145.

الشكل الأدبي (أو الفنون الأدبية) ينقسم إلى خطب ورسائل»⁽¹⁾. والرسائل. ومعنى ذلك أن عمليات التصنيف والتجنيس التي يخضع لها النثر تتحكم فيها معايير أخرى غير الشكل والوزن بصفة عامة.

2 - النثر وأشكال الأجناس الأدبية:

سبقت الإشارة إلى أن أجناس الكلام، حسب أبي هلال العسكري، ثلاثة هي: الرسائل والخطب والشعر⁽²⁾. والحقيقة أن الرسائل والخطب جنسان أدبيان يندرجان ضمن فن أو جنس عام هو النثر؛ يقول البشير المجذوب: «أما النثر فما ورد في حقه من تعريف لا يتعدى التقسيم والتصنيف، فهو باعتبار الشكل الأدبي (أو الفنون الأدبية) ينقسم إلى خطب ورسائل»⁽³⁾.

والظاهر أن تصنيف النثر إلى خطب ورسائل ناتج عن اعتماد معيار واحد هو الشكل. والحقيقة غير ذلك؛ وذلك لأن أنواعا نثرية أخرى يتم إغفالها فلا تذكر، ومنها المقامة التي تختلف شكلا ومضمونا عن الخطب والرسائل. ومعنى ذلك أن عمليات التصنيف والتجنيس التي يخضع لها النثر تتحكم فيها معايير أخرى غير الشكل والوزن بصفة عامة.

إن تحديد النثر في الخطب والرسائل راجع، في نظرنا، إلى ثلاثة عوامل هي:

الأول عامل إداري وسياسي إذ اتخذت السلطة السياسية من الخطب والرسائل وسيلة لتمير خطاباتها، ولتدبير شؤون العباد والبلاد.

أما العامل الثاني فذو طابع تداولي، ويتمثل في شيوع وانتشار هذين الجنسين من أجناس النثر وهيمنتها على باقي الأجناس.

ويرجع العامل الثالث إلى الجوانب الوظيفية في الخطب والرسائل إذ تتميزان بفعاليتها في تبليغ الخطابات، وكفاءتهما وقدرتهما على تحقيق الأهداف المتوخاة منهما.

لكن، وكيفما كان الحال، فإن جميع العوامل المذكورة سابقا، وإن فسرت جانبا من هذه الظاهرة، فإنها لا تبرر إغفال الدارسين - قديما وحديثا - للأجناس النثرية الأخرى، كالمقامة والوصية والحكمة والمثل والخبر. والظاهر أن الإغفال لم يقتصر على مرحلة ما قبل التدوين، بل استمر - بأشكال مختلفة - في مرحلة التدوين وما بعدها علما بأن هناك من الدارسين من يركز على مرحلة ما قبل التدوين حيث يمكن القول إن «هناك ثلاثة أسباب واضحة غيبت أنواعا أدبية نثرية، في مرحلة ما قبل التدوين: أسباب دينية (سجع

(1) - زكي مبارك، النثر الفني في القرن الرابع، ص: 111.

(2) - أبو هلال الحسن العسكري، الصناعتين (الكتابة والشعر)، تحقيق: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1401 هـ / 1981 م، ص: 153.

(3) - البشير المجذوب، حول مفهوم النثر الفني عند العرب القدامى، ص: 11.

الكهان)، إدماج الأمثال في الشعر، ثم حالة المد والجزر بين الشعر والخطابة»⁽¹⁾. وكيفما كان الحال، فمن اللازم الإشارة إلى أن الشعر بسلطته وبأشكال تلقيه، كان من الأسباب التي نفرت من الأنواع النثرية الأخرى، أو ساهمت في تهميشها ل«أسباب أدبية تتلخص في "سلطة الشعر" ...»⁽²⁾. ويمكن أن نضيف إلى ذلك كله سببا آخر ذا بعد منهجي يتمثل في «عدم النظر إلى النثر العربي القديم نظرة شمولية باعتبار نظامه من الأجناس المتداخلة»⁽³⁾.

إضافة إلى ذلك، تتخذ عملية تصنيف النثر في النقد العربي أبعادا أخرى تبعا لزوايا النظر، وللمعايير المعتمدة من قبل الدارسين؛ فاعتماد معيار الإيقاع أفضى إلى تصنيف النثر إلى نوعين؛ وفي هذا الإطار يقول ابن خلدون: «وأما النثر فمنه السجع الذي يؤتى به قطعاً، ويلتزم في كل كلمتين منه قافية واحدة يسمى سجعاً؛ ومنه المرسل، وهو الذي يطلق فيه الكلام إطلاقاً... بل يرسل إرسالاً من غير تقييد بقافية ولا غيرها»⁽⁴⁾.

إن النثر، بناء على هذا، مسجوع ومرسل، وذلك تبعا لمدى التزام الكاتب ببعض الضوابط ذات الطابع الإيقاعي، و من أبرزها السجع الذي «يعتبر من المقومات الأساسية للنثر العربي القديم»⁽⁵⁾. وعموماً يمكن القول إن النثر فن أدبي يتفاعل، بطريقة أو بأخرى، مع عوامل الزمان ومعطيات الواقع. لهذا يظل دائما قابلا للتطور والتغير؛ فعلى سبيل المثال «كان العصر العباسي الأول عصرا خطيرا حقا في تطور النثر، إذ تحولت إليه الثقافات اليونانية والفارسية والهندية وكل معارف الشعوب التي أظلتها الدولة العباسية»⁽⁶⁾.

ولقد سمح هذا العامل بظهور أنماط أخرى من النثر؛ يقول شوقي ضيف: «وكان ذلك إيذانا بتعدد شعب النثر العربي وفروعه، فقد أصبح فيه النثر العلمي والنثر الفلسفي، وأصبح فيه أيضا النثر التاريخي، على شاكلة ما كان عند الأمم القديمة، وحتى النثر الأدبي الخالص أخذ يتأثر بملكات اللغات الأجنبية

(1) أبلغ محمد عبد الجليل، شعرية النص النثري (مقاربة نقدية تحليلية لمقامات الحريري)، شركة النشر والتوزيع المدارس الدار البيضاء، ط1، 1423 / 2002، ص: 28.

(2) - المرجع نفسه، ص: 27.

(3) - صالح بن رمضان، الرسائل الأدبية من القرن الثالث إلى القرن الخامس للهجرة (مشروع قراءة إنشائية)، منشورات كلية الآداب بمنوبة، 2001، ص: 92.

(4) - ابن خلدون، مقدمة، تحقيق: درويش الجويدي، المكتبة العصرية صيدا. بيروت، 1425 هـ / 2005 م، ص: 565-566.

(5) - أبلغ محمد عبد الجليل، شعرية النص النثري (مقاربة نقدية تحليلية لمقامات الحريري)، ص: 32.

(6) - شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، دار المعارف بمصر، ط 2، د.ت، ص: 441.

وخاصة اللغة الفارسية «(1)». وبهذا تحرر النثر العربي، من خلال تفاعلاته الحضارية، من بعض القيود الأدبية، وانعطف نحو ألوان من الفكر والعلم والثقافة بصفته الجنس الأدبي الأقر على استيعاب تلك المعارف والتعبير عنها؛ يقول شوقي ضيف: «وكل ذلك معناه أن النثر تهيأت له أسباب كثيرة في هذا العصر لكي ينمو ويزدهر، فقد أخذ يمتد ليستوعب العلوم والفلسفة، كما يستوعب مادة عقلية عميقة حتى في المجال الأدبي»(2).

إن هذا النمو والازدهار يمثل نقطة تحول رئيسة في تاريخ النثر العربي لم تتيسر له من قبل، وذلك لكونه انفتح على مجالات أخرى أسهمت في إغنائه وتضميخه بسمات جديدة. ومرد ذلك أن المضامين والقضايا الجديدة فرضت اعتماد أساليب وأشكال تعبيرية مبتكرة تنزاح عما كان سائدا في مجال النثر الأدبي؛ وإلى هذا يشير شوقي ضيف فيقول: «وما من ريب في أن ما انتشر في هذا العصر من غناء وشراب ولهو كان له أثره في هذا الذوق المترف الذي يميل إلى أن يسري التصنيع والزخرف في جميع جوانب الحياة... وطبيعي أن يسري هذا الذوق من حياة العباسيين الاجتماعية إلى حياتهم الأدبية لأنه تعبير عصرهم الذي عاشوا فيه...»(3).

هذا فضلا عما أنيط بهذه الأشكال و الأساليب من وظائف لأن «نمو الجنس لا يضر بخصائصه المحايثة فقط و لكن أيضا بالوظائف التي ينهض بها(أو يمكنه النهوض بها) في الحياة الاجتماعية»(4).

4 - موضوعات النثر وخصائصه:

يتردد كثيرا أن كل فن أدبي يختص بموضوع أو غرض معين دون الموضوعات أو الأغراض الأخرى، وذلك اعتمادا على مجموعة من المعطيات الشكلية والأسلوبية والدلالية؛ علما بأن مثل هذه المعطيات أصبحت من المعايير التي يمكن توظيفها في تصنيف النصوص الأدبية وتجنيسها. وهكذا، نجد في (المقدمة) التنبيه التالي: «واعلم أن لكل واحد من هذه الفنون أساليب تختص به عند أهله ولا تصح للفن الآخر، ولا تستعمل فيه، مثل النسب المختص بالشعر، والحمد والدعاء المختص بالخطب، والدعاء المختص بالمخاطبات وأمثال ذلك»(5).

(1) - شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، ص: 442.

(2) - المرجع نفسه، ص: 448.

(3) - شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، ص: 127.

(4) - م. غلوفينسكي، الأجناس الأدبية، ص: 13.

(5) - ابن خلدون، مقدمة، ص: 566.

تقسيمات الأدب/النثر:

لقد أمعنَ النقاد القدامى في بحث الشعر من جميع نواحيه تفصيلاً وتدقيقاً على حد الإفراط أحياناً، وأهملوا فن النثر. ولعل من مظاهر هذا الإهمال أننا لا نجد تعريفاً صحيحاً للنثر قد استوفى ما يشترط في كل تعريف صالح من دقة وإحاطة واستقصاء، في حين أن الشعر قد حظي بتعريفات لا بأس بها تتسم بالضبط والإحكام، أما النثر فما ورد في حقه من تعريفات لا تتعدى التقسيم والتصنيف، فهو باعتبار الشكل ينقسم إلى خطب ورسائل، وباعتبار اللفظ يتفرع إلى نثر مرسل ومزدوج وسجع⁽¹⁾.

ولم يصلنا عن العصر الجاهلي من النثر إلا أقل القليل، ولعل السبب في ذلك يتمثل في الآتي:

- سهولة حفظ الشعر لما فيه من إيقاع موسيقي، وصعوبة حفظ النثر.

- الاهتمام بنبوغ شاعر في القبيلة يدافع عنها ويفخر بها.

- قلة أو انعدام التدوين، والاعتماد على الحفظ والرواية.

وبالرغم من عدم وجود أي سجل أو كتاب مدون يحتوي على نصوص النثر الجاهلي يعود تاريخه إلى تلك الفترة من الزمن الغابر، إذ كان الناس يحفظونها ويتناقلونها عن طريق الرواية الشفاهية، مثل الشعر، وهذا ربما سبب قلتها، وكذا موقف الإسلام من بعضها، وبالرغم من ذلك فإن الدارسين المحققين لهذا التراث الأدبي العربي ذكروا من أنواع النثر الأدبي في تلك الفترة خاصة بعض الأنواع منها:

الخطابة، القصص، الأمثال، الحكم، الوصايا، النثر المسجوع.

(1) - زكي مبارك، النثر الفني في القرن الرابع، ص: 123.

المحاضرة 02: الخطابة.

على الرغم من عدم وجود أي سجل أو كتاب مدون يحتوي على نصوص النثر الجاهلي يعود تاريخه إلى تلك الفترة من الزمن الغابر، إذ كان الناس يحفظونها ويتناقلونها عن طريق الرواية الشفاهية، مثل الشعر، وهذا ربما سبب قلتها، وكذا موقف الإسلام من بعضها، وبالرغم من ذلك فإن الدارسين المحققين لهذا التراث الأدبي العربي ذكروا من أنواع النثر الأدبي في تلك الفترة خاصة بعض الأنواع كالخطابة، لا يمكن إنكار أثر الخطابة في تشكيل الكثير من الحوادث التاريخية؛ فطالما تحركت الجماهير نحو هدف عظيم أو معركة كبرى إثر خطبة رنانة ملهمة شحذت الهمم في القلوب، وما الخطب التي سبقت الحملات العسكرية والمعارك الحربية الفاصلة بمجهولة، فيحدثنا التاريخ عن زعماء وأعلام امتلكوا ناصية الخطابة كـ «نيرون» و«موسوليني» حيث كانت قدراتهم فطرية؛ صقلتها بيئتهم المحيطة واطلاعهم، فكان من بيانهم سحر. وقد قدّم المؤلف دراسة لأساليب هؤلاء الخطباء الإنشائية والبلاغية، ولاحظ حركات أجسادهم أو ما نسميه اليوم بـ «لغة الجسد»، كما درس أصواتهم وطريقة نطقهم، ليخرج بهذا الكتاب الذي يمكن اعتباره دليلاً تعليمياً في مخاطبة الجماهير، ذاكراً ما يجب أن يتخذه الخطيب من وسائل لإيصال فكرته، مُختتماً كتابه بمجموعة من الخطب التاريخية لزعماء سياسيين ورجال دين وأدباء؛ أمثال «لنكولن» و«الحجاج» و«فيكتور هوجو».

الخطابة لغة:

الخطابة من الخطب، وهو سبب الأمر، أو هو أمر شديد ينزل، أو هو أمر جليل، أو هو أمر وشأن صغر أو عظم⁽¹⁾.
 وخطب الخاطب على المنبر خطابة وخطبة، وذلك الكلام خطبة أيضاً، أو هي الكلام المنثور المسجع⁽²⁾.
 وقيل (الخطبة) الواحدة من المصدر، كالقومة من القيامة، والجمع (الخطب). وخطب مخاطبا وخطابا: وهو الكلام بين متكلم وسماع، وهو مراجعة الكلام⁽³⁾.
 والاسم منها (الخطاب)، وإذا جعل وصفا لازما قيل (خطيب).

(1) - ينظر: ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم. لسان لعرب، مادة: خطب، ج16. ط. 1. دار صادر، بيروت، 1374هـ-1955م.

(2) - الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب مجد الدين، القاموس المحيط. مادة: خطب. ط1. دار الفكر بيروت، لبنان. ص: 103.

(3) - ينظر: المصباح المنير: مادة (خطب)

الخطابة اصطلاحاً:

الخطابة: وهي الفن في مخاطبة الناس وإقناعهم عن طريق الكلام المختصر والبليغ الذي يحمل وقعاً في النفس عند سماعه، وهي أقدم فنون النثر في الأدب العربي، ولها ثلاثة أجزاء تتكوّن منها الخطبة، هي المُقدّمة، والموضوع، والخاتمة.

عرفت الخطابة بأنها: صفة راسخة في نفس المتكلم، يقتدر بها على التصرف في فنون القول لمحاولة التأثير في نفوس السامعين، وحملهم على ما يراد منهم، بترغيبهم، وإقناعهم⁽¹⁾.

فمن أوضح ما قيل في تعريف الخطابة أنها عرّفت بـ: فن مخاطبة الجماهير بطريقة إقائية تشتمل على الإقناع والاستمالة⁽²⁾.

عرّفت الخطابة بتعاريف عديدة، لا يتباعد بعضها عن بعض ولكن منها ما ليس جامعاً لكل أنواع الخطبة وجزئياتها، ومنها ما ليس مانعاً من دخول أشياء معها مثل: الوصايا والدروس والإعلانات وما شابه هذا.

وقد وردت تعاريف كثيرة للخطابة تأتي بنماذج منها:

الخطابة: فن مخاطبة الآخرين بطريقة إقائية تشتمل على قوة تتكأف الإقناع الممكن في كل واحد من الأمور المفردة، وهو ما يسمّى باليونانية الروطوريقا⁽³⁾. ويقول الأستاذ ابراهيم البدوي: «إنّ الخطابة إحدى الفنون الراقية التي يحتاجها الانسان خاصة العلماء والمفكرين ومبليغي الرسالة الإلهية وخدمة أهل الوحي والائمة والسائرين على درب الإصلاح والتحرير والسالكين طريق القيادة والتدبير...»⁽⁴⁾.

نشأة الخطابة في العصر الجاهلي:

ازدهرت الخطابة عند العرب متأخرة في الزمن، لأن الشعر كان متفوقاً عليها، فلما أصبح الشعر مطية للتكسب صارت منزلة الخطيب هي المقدّمة. واشتهر في العصر الجاهلي خطباء كثيرون، مثل: قس بن ساعدة الإيادي، وهانئ بن قبيصة الشيباني وعامر بن الظرب العدواني، وعمرو بن كلثوم التغلبي، وأكثم بن صيفي وهاشم بن عبد مناف القرشي.

وقد تعددت أغراض الخطابة وأنواعها، إزاء هذا الازدهار، فكانت وسيلة للتحرير على القتال، أو للأخذ بالثأر، وربما كانت في الوقت نفسه سبيلاً إلى إصلاح ذات البين أو إرساء قواعد السلم. وقد تكون في

(1) -ينظر: محمد أبو زهرة. الخطابة: أصولها وتاريخها في أزهر عصورها عند العرب. دار الفكر العربي، 1934م. ص: 19

(2) -ينظر: عبد الرحمان المصطاوي. مرشد الخطيب ودليل الباحث في الخطب المنبرية، ط1، 2002م، دار المعرفة، بيروت، لبنان. ص: 07.

(3) - صالح بن رمضان، الرسائل الأدبية من القرن الثالث إلى القرن الخامس للهجرة، ص: 92.

(4) - محمد مندور، الأدب وفنونه، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، د.ط، د.ت، ص: 28.

إشاعة المفاخر، والإشادة بالأنساب أمام الملوك وزعماء القبائل، والأمراء. وكانت للخطباء سنن وتقاليد يتبعونها عند إلقاء خطبهم، كأن يقف الخطيب على مرتفع من الأرض، معتمداً على قوسه، أو ممسكاً بعضا يشير بها، وقد يخطب راكباً على ناقته، ويديه الرمح، وقد لاث العمامة على رأسه⁽¹⁾.

الخصائص الفنية للخطبة في العصر الجاهلي:

- كان الخطباء يحرصون على أن تتوافر في خطبهم عدة خصائص، منها:
- (أ)- وضوح الفكرة. (ب)- جودة العبارة وسلامة ألفاظها.
 - (ج)- التنوع في الأسلوب بين الخبري والإنشائي. (د) قلة الصور البيانية.
 - (هـ)- مراعاة السجع في عباراتها لاسيما في مقامات الفخر خاصة. أما في خطب المحافل وإصلاح ذات البين، مثلاً، فكانوا يستخدمون الأسلوب المرسل.
 - (و)- كانوا يؤثرون قصر العبارة في خطبهم، وتوشيحها ببعض الحكم والأمثال، لغرض التأثير والإقناع.
 - (ز)- قد تطول الخطبة وقد تقصر، ولكل منهما مقام وموضع وقد ر من العناية⁽²⁾.

مواصفات الخطيب:

ومما يمدح به الخطيب عندهم: حضور البديهة، وقلة التلفت، وقوة الجنان، وظهور الحجة، مع جهازة الصوت. وفي مقابل ذلك كانوا يعيبون على الخطيب التثنج، والانقطاع، والاضطراب، والتعثر في الكلام⁽³⁾.

مواصفات الخطبة:

- وقد استقرت للخطابة في العصر الجاهلي مجموعة من الخصائص الفنية، كان الخطباء يحرصون عليها في خطبهم، منها:
- 1- وضوح الفكرة.
 - 2- جودة العبارة وسلامة ألفاظها.
 - 3- التنوع في الأسلوب بين الخبري والإنشائي.
 - 4- قلة الصور البيانية.
 - 5- مراعاة السجع في عباراتها لاسيما في مقامات الفخر خاصة. أما في خطب المحافل وإصلاح ذات البين، مثلاً، فكانوا يستخدمون الأسلوب المرسل.
 - 6- كانوا يؤثرون قصر العبارة في خطبهم، وتوشيحها ببعض الحكم والأمثال، لغرض التأثير والإقناع.

(1)- ينظر: عبد الجليل عبده شلبي. الخطابة وإعداد الخطيب، ط3، دار الشروق، القاهرة، مصر، 1408هـ/1987م. ص: 82.

(2)- ينظر: محمد أبو زهرة. الخطابة: أصولها وتاريخها في أزهر عصورها عند العرب. ص: 29.

(3)- ينظر: عبد الجليل عبده شلبي. الخطابة وإعداد الخطيب. ص: 85.

7- قد تطول الخطبة وقد تقصر، ولكل منهما مقام وموضع وقد ر من العناية⁽¹⁾.

أنواع الخطبة:

وتتنوع الخطابة بتنوع موضوعاتها:

- فهناك الخطابة الدينية

- الخطابة السياسية

- الخطابة الاحتفالية

- الخطابة القضائية

أغراض الخطابة الجاهلية:

دارت الخطابة الجاهلية في نطاق البيئة التي نشأت وترعرعت فيها، فكانت خطابة بطولية و فروسية يفوه بها الخطباء للدعوة الى القتال والحض على النزال، وكانت خطابة دفاع أو صلح وسلام؛ وكانت خطابة مفاخرة أو منافرة أمام حكم يحكم، أو في حضرة ملك تميل بميله كفة الميزان⁽²⁾.

وكانت خطابة زهد تدعو الناس الى الصدوف عن بهارج الدنيا والتعلق بحبال الآخرة؛ وكانت خطابة كهان يسجعون سجع الحمام في سبيل هدف غيبي يُطلقون وراءه الاقاويل، وينصبون على جوانبه الأحابيل؛ كانت خطابة زواج يُعق و يبارك، أو خطابة موتيلم فيفجع، ويرمي القلوب في هوة سحيقة من الحزن، ويحمل على التأمل في حقيقة الوجود؛ وكانت أخيراً خطابة وصايا يتوجه بها الطاعنون في السن الى أبنائهم أحفادهم للسير بهم في سبيل الخير والشرف...⁽³⁾.

وأما قيمة هذه الخطب من حيث الفصاحة والبلاغة نجدها في ذروة البيان خاصة عند الكهان وأشباهم من الذين يتسلحون بذرية اللسان وعنف البيان، ونستطيع القول بأن الأمة العربية قد بلغت من الفصاحة والبلاغة والبيان ما لم تبلغه أمة من الأمم قبلها أو بعدها وكان الشعراء والبلغاء هم فخر القبيلة وعزها ومجدها وإذا قالوا فقولهم كان بمثابة التنزيل عند أقوامهم وإذا تكلموا فكلامهم رافع خافض، وبلغ من عز الكلمة وشرفها ومكانتها أن كانت تعلق في جدران الكعبة أقدس مكان عندهم وأعز بنيان لديهم وكان من أشهر خطباء العرب: قس بن ساعدة الإيادي، وقيس بن خارجة بن سنانة خطيب داحس والغبراء، وعتبة بن أبي ريعة، سهيل بن عمرو الأعلم، ونفيل بن عبد العزى، وأبو عمّار الطائي، وهانى بن قبيصة، وسعد بن الربيع و...

(1) - ينظر: عبد الجليل عبده شلبي. الخطابة وإعداد الخطيب. ص: 87.

(2) - ابن خلدون، مقدمة، ص: 570.

(3) - ينظر: ضياء الدين أبو الفتح نصر الله الموصلي. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ط1، المطبعة البهيه بمصر، د.ت، ص: 3.

أشهر خطباء الجاهلية: هناك العديد من الخطباء في العصر الجاهلي ومن أشهرهم:

- قس بن ساعدة فهو أول من قال في خطبته : (أما بعد) وتسمى (فصل الخطاب)

- سهيل بن عمرو الذي اسلم وحسن اسلامه

- لبيد بن ربيعة

- هرم بن قُطبة الفزاري

نماذج عن خطب الجاهلية:

1- خطبة أكنم بن صيفي عند كسرى:

«إِنَّ أَفْضَلَ الْأَشْيَاءِ أَعَالِيهَا ، وَأَعْلَى الرَّجَالِ مُلُوكُهَا ، وَأَفْضَلَ الْمُلُوكِ أَعْمُهَا نَفْعًا ، وَخَيْرَ الْأَزْمَنَةِ أَحْضَبُهَا ، وَأَفْضَلَ الْخُطْبَاءِ أَصْدَقُهَا ، الصِّدْقُ مَنْجَاةٌ ، وَالْكَذِبُ مَهْوَاةٌ ، وَالشَّرُّ لَجَاجَةٌ ، وَالْحَزْمُ مَرْكَبٌ صَعْبٌ ، وَالْعَجْزُ مَرْكَبٌ وَطِيءٌ ، آفَةُ الرَّأْيِ الْهَوَى ، وَالْعَجْزُ مِفْتَاحُ الْفَقْرِ ، وَخَيْرُ الْأُمُورِ الصَّبْرُ ، حُسْنُ الظَّنِّ وَرُطَّةٌ ، وَسُوءُ الظَّنِّ عِصْمَةٌ ، إِصْلَاحُ فَسَادِ الرَّعِيَّةِ خَيْرٌ مِنْ إِصْلَاحِ فَسَادِ الرَّاعِي ، مَنْ فَسَدَتْ بَطَانَتُهُ كَانَ كَالْغَاصِ بِالْمَاءِ ، شَرُّ الْبِلَادِ بِلَادٌ لَا أَمِيرَ بِهَا ، شَرُّ الْمُلُوكِ مَنْ خَافَهُ الْبَرِيُّ ، الْمَرْءُ يَعْجُزُ لَا مَحَالَةَ ، أَفْضَلُ الْأَوْلَادِ الْبَرَّةُ ، خَيْرُ الْأَعْوَانِ مَنْ لَمْ يُرَاءَ بِالنَّصِيحَةِ ، أَحَقُّ الْجُنُودِ بِالنَّصْرِ مَنْ حَسَنَتْ سَرِيرَتُهُ ، يَكْفِيكَ مِنَ الرَّادِّ مَا بَلَغَكَ الْمَحَلَّ ، حَسْبُكَ مِنْ شَرِّ سَمَاعِهِ ، الصَّمْتُ حُكْمٌ وَقَلِيلٌ فَاعْلُهُ ، الْبَلَاغَةُ الْإِيْجَازُ ، مَنْ شَدَّدَ نَفْرًا ، وَمَنْ تَرَخَى تَأَلَّفَ»⁽¹⁾.

2- خطبة قس بن ساعدة الإيادي:

هو خطيب العرب قاطبة، وبه يضرب المثل في البلاغة والحكمة كان يدين بالتوحيد، ويؤمن بالبعث، ويدعو العرب إلى نبذ العكوف إلى الأصنام وعبادتها، ويهديهم ويرشدهم إلى عبادة الخالق. ومن خطبه التي خطبها في سوق عكاظ قبل البعثة النبوية تأتي بهذا الخطبة كنموذج للخطب الجاهلية وهي:

«أَيُّهَا النَّاسُ اسْمَعُوا وَعَوَا، مَنْ عَاشَ مَاتَ، وَمَنْ مَاتَ فَاتَ: وَكَلَّ مَا هُوَ آتٍ آتٍ، لَيْلٌ دَاجٍ وَنَهَارٌ سَاجٍ وَسَمَاءٌ ذَاتُ أَبْرَاجٍ، وَنَجُومٌ تَزْهَرُ، وَبِحَارٌ تَزْخَرُ وَجِبَالٌ مُرْسَاةٌ، وَأَرْضٌ مُدْحَاةٌ وَأَنْهَارٌ مُجْرَاةٌ، إِنَّ فِي السَّمَاءِ لَخَبْرًا وَإِنَّ فِي الْأَرْضِ لَعِبْرًا مَا بَالُ النَّاسِ يَذْهَبُونَ وَلَا يَرْجِعُونَ أَرْضُوا فَأَقَامُوا؟ أَمْ تَرَكُوا فَنَامُوا؟ يَقْسِمُ بِاللَّهِ قَسْمًا لَا إِثْمَ فِيهِ إِنَّ لِلَّهِ دِينَأً هُوَ أَرْضَى لَكُمْ وَأَفْضَلُ مِنْ دِينِكُمْ الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ، إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ مِنَ الْأَمْرِ مِنْكَرًا»⁽²⁾.

(1)- أحمد زكي صفوت. جمهرة خطب العرب في عصوره العربية الزاهرة، ج.1. ط.1. طبعة مصر، 1352هـ/1933م. ص:56.

(2)- المصدر نفسه. ص:60.

المحاضرة 03: نصوص من خطب صدر الإسلام:**نماذج من الخطابة في عصر صدر الإسلام****1- خطبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم:**

"إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ أَحْمَدُهُ وَأَسْتَعِينُهُ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ. إِنَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَبَّيْتَهُ اللَّهُ فِي قَلْبِهِ وَأَدْخَلَهُ فِي الْإِسْلَامِ بَعْدَ الْكُفْرِ وَاخْتَارَهُ عَلَى مَا سِوَاهُ مِنْ أَحَادِيثِ النَّاسِ، إِنَّهُ أَحْسَنُ الْحَدِيثِ وَأَبْلَغُهُ، أَحَبُّ مَا أَحَبَّ اللَّهُ أَحَبُّوا اللَّهَ مِنْ كُلِّ قُلُوبِكُمْ، وَلَا تَمَلُّوا كَلَامَ اللَّهِ وَذِكْرَهُ، وَلَا تَقْسُ عَنْهُ قُلُوبِكُمْ، فَإِنَّهُ مِنْ كُلِّ مَا يَخْلُقُ اللَّهُ يَخْتَارُ وَيَصْطَفِي، قَدْ سَمَاهُ اللَّهُ خَيْرَتَهُ مِنَ الْأَعْمَالِ وَمُصْطَفَاهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَالصَّالِحِ مِنَ الْحَدِيثِ، وَمِنْ كُلِّ مَا أُوتِيَ النَّاسُ مِنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، فَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاتَّقُوا حَقَّ تَقَاتِهِ وَاصْدُقُوا اللَّهَ صَالِحَ مَا تَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ، وَتَحَابُّوا بِرُوحِ اللَّهِ بَيْنَكُمْ، إِنَّ اللَّهَ يَغْضَبُ أَنْ يُنْكثَ عَهْدُهُ. وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ. (1) "

2- خطبة جعفر بن أبي طالب أمام النجاشي:

وذلك أنه لما هاجر المسلمون إلى الحبشة أرسلت قريش برَسُولَيْنِ في أثرهما، وزودتهما بهدايا ثمينة إلى النجاشي وإلى جميع بطارقتهم، وكلفوهما بأن يطلبوا من النجاشي أن يسلم إليهما من هاجر من المسلمين، بدعوى أنهم ما هم إلا مجموعة من السفهاء فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دين الملك النجاشي، وجاءوا بدين ابتدعوه، وهم لذلك أهل للتأديب، وقد استمالوا بطارقة النجاشي إلى صفوفهم، ليضمنوا بذلك مؤازرتهم لهم في طلبهم عند الملك.

وكان الرسولان هما عبد الله بن أبي ربيعة، وعمرو بن العاص، فلما فاتحا النجاشي في الأمر، غضب وقال: لا هالقه إِنْ لَا أَسْلَمَهُمَا إِلَيْهِمَا، وَلَا يُكَادُ قَوْمُ جَاوْرُونِي، وَنَزَلُوا بِلَادِي، وَاخْتَارُونِي عَلَى مَنْ سِوَايَ، حَتَّى أَدْعُوهُمْ فَأَسْأَلَهُمْ عَمَا يَقُولُ هَذَانِ فِي أَمْرِهِمْ، فَإِنْ كَانُوا كَمَا يَقُولَانِ أَسْلَمْتُهُمَا إِلَيْهِمَا وَرَدَدْتُهُمَا إِلَى قَوْمِهِمْ، وَإِنْ كَانُوا عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ مَنَعْتُهُمْ مِنْهُمَا، وَأَحْسَنْتُ جَوَارِهِمْ مَا جَاوْرُونِي.

(1) - السيرة النبوية لابن هشام 1/ 501، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، دار الوفاق - بيروت، دلائل النبوة، أحمد بن

الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى 458هـ)، 2/ 524، تحقيق د. عبد المعطي قلجعي، دار الكتب العلمية، ط الأولى 1408 هـ 1988م.

وينظر: شرحا للخطبة المذكورة في الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد

السهيلى (المتوفى 581هـ)، 4/ 170، تحقيق عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط

الأولى 1421 هـ 2000م.

ثم أرسل إلى المهاجرين، وحضروا لدى الملك وأساقفته ورسولي قريش. وأمام هذا الجمع ألقى جعفر بن أبي طالب هذه الخطبة المثيرة المقنعة، فقال: أيها الملك: كنا قوما أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك، حتى بعث الله إلينا رسولا منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآبائنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده، لا نشرك به شيئا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام - (قالت أم سلمة التي تروي القصة والخطبة): فعدد عليه أمور الإسلام - فصدقناه وأما به، واتبعناه على ما جاء به من الله وحده، فلم نشرك به شيئا، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا، فعذبونا وفتنونا عن ديننا، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا؛ خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك، ورجبنا في جوارك، ورجبنا أن لا نظلم عندك أيها الملك⁽¹⁾.

فاختار جعفر صدر سورة مريم والتي تبدأ بقوله تعالى: ﴿ كَهَيْعِص * ذَكَرْ رَحْمَةَ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا * قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّئْ وَلِنَجْعَلُهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ﴾ (مريم: 1-21).

وبعد سماع هذه الكلمات المعجزة لم يتمالك النجاشي نفسه فبكى ملك الحبشة وبكت أساقفته، وهنا وبوضوح أخذ النجاشي القرار وقال: إن هذا والذي جاء به موسى (وفي رواية: عيسى) ليخرج من مشكاة واحدة.

ثم التفت النجاشي إلى وفد قريش وقال لهم: انطلقا، فوالله لا أسلمهم إليكم أبدا.. فكانت هذه الجولة بكاملها في صفِّ المؤمنين، وهُزم وفد قريش هزيمة منكرة.

وبعد أن انتهت الخطبة قال له النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله شيء؟ فقال له جعفر: نعم، فقال له النجاشي: فاقراه عليّ، فقرأ عليه صدرا من "كهيعص"، فبكى النجاشي حتى ابتلت لحيته، وكذا أساقفته حتى بلوا مصاحفهم، حين سمعوا ما تلا عليهم، ثم قال النجاشي: إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا، فلا والله لا أسلمهم إليكما، ولا يكادون.

(1) - ابن هشام. السيرة النبوية: 661/2.

وهكذا سيطر جعفر تماماً على مشاعر النجاشي ملك الحبشة، بل وعلى مشاعر الأساقفة من حوله، وقد ختم بيانه هذا بمقطع سياسي حكيم قال جعفر فيه: فلما قهرونا وظلمونا وشقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلدك، واخترناك على من سواك، ورجبنا في جوارك، ورجونا ألا نظلّم عندك أيها الملك. وبعد انتهاء الخطاب سأل النجاشي جعفر رضي الله عنه قائلاً: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ قال جعفر: نعم. قال النجاشي: اقرأه عليّ.

وهكذا كان لفصاحة جعفر وبلاغته، وجودة خطبته الأثر الأكبر في إقناع النجاشي واستمالاته، والتأثير فيه لصالحه، خاصة وأن الرجل كان يتحلى بالعدل والتجرد من الهوى، فأفرغ جعفر في مسامعه كلماته المؤثرة، وخطبته البليغة، فكان ما كان.

ثم إنه يتضح جلياً من عبارات جعفر - رضوان الله عليه - أنه لم يكن مجرد خطيب يحترف الخطابة، بل كان صاحب دعوة ملكت عليه شغافه، وجرت من نفسه مجرى الدم في العروق، فخرج الكلام من القلب يكسوه الإخلاص، وتجمله الفصاحة، وتزينه جودة الإلقاء، فلا غرو أن وجد من المستمعين آذاناً صاغية وقبولاً حسناً.

3- خطبة أبي بكر الصديق حينما بويع بالخلافة:

حمد الله وأثنى عليه بالذي هو أهله، ثم قال:

"أما بعد أيها الناس، فإني قد وُلّيت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قويّ عندي حتى أرجع إليه حقه إن شاء الله، والقويّ فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم إلا عمهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله" (1).

هذا، "وكان آخر كلام أبي بكر الذي إذا تكلم به عرف أنه فرغ من خطبته: اللهم اجعل خير زمانني آخره، وخير عملي خواتمه وخير أيامي يوم ألقاك.

وكان آخر كلام عمر الذي إذا تكلم به عرف أنه فرغ من خطبته: اللهم لا تدعني في غمرة، ولا تأخذني على غرّة، ولا تجعلني من الغافلين."

وهذا يوضح لنا مدي التأثير الإسلامي في الخطابة بعد مجيء الإسلام.

ثم إن خطبة أبي بكر التي معنا خطبة سياسية ومع هذا فهي تتطرق من الدين، وفي هذا دحض للافتراء القائل بأنه لا علاقة للدين بشؤون الحكم، ولا بشؤون الحياة.

(1) - ابن هشام. السيرة النبوية : 240/4، ابن قتيبة .عيون الأخبار : 234 /2

وهذه الخطبة على وجازتها حوت ملامح ذلك الحاكم الجديد، وأبرزت منهجه في الحكم، وسياسته للرعية، كما كانت حاسمة في تبييد مخاوف الطبقة الضعيفة من ضياع حقوقهم، فلم ييأسوا من عدل الخليفة، وكانت قاطعة لأطماع من تحدته نفسه من طبقة الأقياء أو الشرفاء بأخذ ما ليس له أو ظلم ضعيف، فلم يطمع بذلك شريف أو قوي في جوره، كما بينت شخصية الدولة القوية، وأنها لا تفرط في إعداد العدة لجهاد أعداء الله، وكلّ من تسول له نفسه بالنيل من كرامة الأمة، وهذه الدولة ينبغي أن ترعى الفضيلة، ويتخلق أهلها بها، وأن توصل الأبواب أمام أي رذيلة من الرذائل، أو فاحشة من الفواحش، كما أن الخطبة تطمئن الناس على أن الحاكم الجديد لن يجرمهم حقهم في الحرية السياسية، والتي من مظاهرها نصح الحاكم وتقويمه إذا حاد عن الدستور المتمثل في الشريعة الإسلامية.

كل هذا وغيره حوته هذه الخطبة الموجزة البليغة، والتي تميزت بسلاسة الأسلوب ووضوح العبارة، وقرب المعنى، وسمو المضمون، واستمدادها من القرآن والسنة.

ما يستفاد من النص:

- التواضع من صفات المتقين كما يتضح من قوله "فإني وليت ولست بخيركم".
- يجب على المسلمين أن يُعاونوا وليَّ الأمر ما أقام فيهم شريعة الله والتزم نهج الرسول (ص)
- وسلم وأن يقوموه ويصلحوا من أمره ويقدموا إليه الرأي الحق إذا أخطأ وانحرف.
- من حق المسلم على وليَّ الأمر أن ينتصر له من الظالم وأن يوصل إليه حقه.
- وجوب الجهاد في سبيل الله.
- وجوب ترك الفواحش ما ظهر منها وما بطن.
- وجوب طاعة وليَّ الأمر ما دام مطيعاً لله ورسوله.

4-خطبة هاشم بن عبد مناف

يحث قريشا على إكرام زوار بيت الله الحرام. (أ نموذجاً)

كان هاشم بن عبد مناف يقوم أول نهار اليوم الأول من ذي الحجة فيسند ظهره إلى الكعبة من تلقاء بابها، فيخطب قريشا، فيقول:

« يا معشر قريش، أنتم سادة العرب، أحسنها وجوهاً، وأعظمها أحلاماً، وأوسطها أنساباً، وأقربها أرحاماً. يا معشر قريش، أنتم جيران بيت الله، أكرمكم بولايته، وخصكم بجواره دون بني إسماعيل، وحفظ منكم أحسن ما حفظ جار من جاره، فأكرموا ضيفه، وروار بيته؛ فإنهم يأتونكم شعناً غبلاً من كل بلد، فورب هذه البنية لو كان لي مال يحمل ذلك لكفيتكموه.

ألا وإني مُخْرِجٌ مِنْ طَيِّبٍ مَالِي وَحَلَالِهِ مَا لَمْ يُقَطَّعْ فِيهِ رَحِمٌ، وَلَمْ يُؤْخَذْ بِظُلْمٍ، وَلَمْ يَدْخُلْ فِيهِ حَرَامٌ، فَوَاضِعُهُ
فَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَفْعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ فَعَلْ. وَأَسْأَلُكُمْ بِحُرْمَةِ هَذَا الْبَيْتِ أَلَّا يُخْرِجَ رَجُلٌ مِنْكُمْ مِنْ مَالِهِ لِكِرَامَةِ
رُؤَارِ بَيْتِ اللَّهِ وَمَعُونَتِهِمْ إِلَّا طَيِّبًا لَمْ يُؤْخَذْ ظُلْمًا، وَلَمْ يُقَطَّعْ فِيهِ رَحِمٌ، وَلَمْ يُغْتَصَبْ»⁽¹⁾.

(1) - أحمد زكي صفوت. جمهرة خطب العرب في عصوره العربية الزاهرة. ط1. طبعة مصر، 1352هـ/1933م. ص:56.

المحاضرة 04: الأمثال والحكم.**أهمية الأمثال والحكم في العصر الجاهلي**

أبدع معظم العرب في ضرب الأمثال في مختلف المواقف والأحداث فلا يخلو موقف من حياتنا العامة إلا ونجد مثلاً ضرب عليه، ولا تخلو خطبة مشهورة ولا قصيدة سائرة من مثل رائع مؤثر في حياتنا.

فالأمثال أصدق شيء يتحدث عن أخلاق الأمة وتفكيرها وعقليتها، وتقاليدها وعاداتها، ويصور المجتمع وحياته وشعوره أتم تصوير فهي مرآة للحياة الاجتماعية والعقلية والسياسية والدينية واللغوية، وهي أقوى دلالة من الشعر في ذلك لأنه لغة طائفة ممتازة، أما هي فلغة جميع الطبقات.

ولقيت هذه الأمثال شيوعاً لخفتها وعمق ما فيها من حكمة وإصابتها للغرض المنشودة منها، وصدق تمثيلها للحياة العامة ولأخلاق الشعوب، قال النظام: يجتمع في المثل أربعة لا يجتمع في غيره من الكلام إيجاز اللفظ وإصابة المعنى وحسن التشبيه وجودة الكتابة فهو نهاية البلاغة.⁽¹⁾

المثل لغة:

الأمثال جمع مثل وهو مأخذ من قولنا هذا مثل الشيء ومثله، كما تقول شبيهه، وشبهه، لأن الأصل فيه التشبيه⁽²⁾. وللعرب أمثال جيدة خلفوها لنا تدل على عقليتهم أكثر مما يدل عليها الشعر والقصص، ولعل سبب ذلك يعود إلى أن المثل يوافق مزاجهم العقلي وهو النظر الجزئي الموضوعي لا الكلي الشامل. والمثل لا يستدعي إحاطة بالعلم أو شؤون الحياة.

اصطلاحاً:

الأمثال هي العبارة الفنية السائرة الموجزة التي تضاع لتصوير موقفاً أو حادثة ولتستخلص خبرة إنسانية يمكن استعادتها في حلة أخرى مشابهة لها مثل: «رب ساع لقاعد» و «إن البغاث بأرضنا يستتسر» و «رجع بخي حنين» و «إياك واسمعي يا جارة» و «رب قول أشد من صول»⁽³⁾.

تعريف آخر للأمثال: هي جملة قيلت في مناسبة خاصة، ثم صارت - لما فيها من حكمة - تذكر في كل مناسبة مشابهة. ولكي تصير الجملة مثلاً فلا بد من اشتغالها على الإيجاز وحسن التشبيه وإصابة المعنى وحسن الكناية⁽⁴⁾.

تعريف الحكمة:

(2)-ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم. لسان العرب، مادة: (مثل)، ج16، ط1. دار صادر، بيروت، 1374هـ-1955م.

(3)- محمد عبد المنعم خفاجي. الأدب الجاهلي. ص: 153.

(4)-الميداني، مجمع الأمثال، ج1، ط1، السنة المحمدية، القاهرة. ص: 72.

الحكمة: قول موجز مشهور صائب الفكرة، دقيق التعبير يهدف إلى الخير والصواب، والحكمة تعبر عن خلاصة خبرات صاحبها بالحياة. تتفق الحكمة مع المثل في: الإيجاز - الصدق - قوة التعبير - سلامة الفكرة وتختلف الحكمة عن المثل في أمرين - أن الحكمة لا ترتبط في أساسها بحادثة أو قصة. أن الحكمة تصدر عن إنسان له خبرته وتجاربه العميقة في الحياة⁽¹⁾.

كما عرف المثل والحكمة بأنهما جمل قصيرة بليغة، خالية من الحشو، أوحى بها تجارب الحكماء والمعمرين في الحياة والعلاقات بين الناس، وهي ثمار ناضجة من ثمرات الاختبار الطويل، والرأي المحكم⁽²⁾.

وقد اشتهر عند العرب في العصر الجاهلي طائفة من أولئك الحكماء، مثل: لقمان عاد وهو غير لقمان الحكيم، المذكور في القرآن الكريم، وأكثم بن صيفي، وعامر بن الظرب، ولييد بن ربيعة. وبعض هؤلاء يُعدون في الخطباء، وحكام المنافرات أيضاً. ولا يكاد يوجد في العصر الجاهلي سيد، أو شريف، أو خطيب مشهور إلا أضيفت إليه جملة من الحكم والأمثال.

الفرق بين الحكمة والمثل:

والفرق بين الحكمة والمثل، أن الحكمة قول موجز جميل، يتضمن حكماً صحيحاً مسلماً به. لأنه نابع من الواقع ومعاناة التجارب في الحياة، مثل: «أخز الدواء الكي، وأول الشجرة النواة، وإنك لا تجني من الشوك العنب...».

وأما المثل فهو - في أصله - قول يقترن بقصة أدت إليه، ويذري به اللسان أول مرة، ثم يدخل في نطاق الأمثال حين يستشهد به في مقامات مماثلة، وفي حالات مشابهة للحالة الأولى التي ورد ذلك القول فيها. ولذلك تحكى الأمثال بألفاظها الأصلية، بلا تغيير ولا تصرف، مهما كان وضع المخاطب أو نسق الكلام (مثل) تموت الحرة ولا تأكل بثدييها، مقتل الرجل بين فكيه، إستتوق الجمل، ثم يدخل في نطاق الأمثال حين يستشهد به في مقامات مماثلة، وفي حالات مشابهة للحالة الأولى التي ورد ذلك القول فيها. كما وتختلف الحكمة عن المثل في أنها تصدر غالباً عن طائفة خاصة من الناس لها خبرتها وتجاربها وثقافتها، بعكس المثل الذي يصدر عن عامة الناس⁽³⁾.

وقد دون العرب حكمهم وأمثالهم منذ أوائل العصر الأموي، وهذا مما ساعد على حفظها وتواترها على الألسنة. وأكثر تلك الحكم والأمثال لا يعرف أصحابها أو قائلوها، وقد سيقى بأسلوب سهل، لا أثر للصنعة الإنشائية فيه، وبعضها بل أكثرها، يعد من الإنشاء الرفيع، والسبك الجيد. وكثير منها أشرطة

(1)-ضياء الدين أبو الفتح نصر الله الموصلي. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ص:41.

(2)- ينظر: زكي مبارك. النثر الفني في القرن الرابع، ص:106.

(3)-ينظر: زينب فؤاد. من تيارات الأدب الجاهلي، جامعة أسيوط. ص: 196.

موزونة، ربما كانت مقتطعة من أبيات كاملة، مثل: «رضيْتُ من الغنيمَةِ بالإيابِ» وهو عجز بيت لامرئ القيس. كما لا تخلو صياغة بعض الحكم والأمثال أحياناً، من خروج على النظام اللغوي. كقولهم: «مكرةٌ أخاك، لا بطلٌ»⁽¹⁾.

ميزات الأمثال والحكم العربية الجاهلية:

من المعلوم لدى الجميع أن الأمثال العربية في العصر الجاهلي متصفة بمزايا وخصائص تميزها كل تمييز عن أخواتها و مثيلاتها، ومن أظهر وأوضح مميزات قلة الألفاظ وكثرة المعاني وسهولتها ووضوحها، والخلو من تكلف البديع، والإيجاز لا الإطناب والتطويل، وجمال الصياغة وحسن التعبير وجزيل اللفظ وقوي التركيب وموجز الأسلوب وسطحي الفكر وسلاسة العبارة وسيولتها وفصاحتها وبلاغتها وقوة التأثير، ولا يُلتزم أن يكون المثل صحيح المنحى فقد يشتهر مثل لا يصح معناه في كل وقت، ولكن صادف ظرفاً شهيراً فاشتهر به، ولما كانت الأمثال نتاج الناس جميعاً فقد جمعت الصحيح وغير الصحيح، ولا كذلك الحكمة، فإن الحكمة وليدة عقل متميز ذي ارتفاع فلا بد أن تكون صادقة في كل الأحوال.

« وأعظم ما اختصت به الأمثال العربية الجاهلية، جريان الكلمات مع الطبع فليس تكلف ولا زخرف ولا غلو، تسير مع أخلاق البدوي وبيئته، وقال ابراهيم النظام: يجتمع في المثل أربع ميزات لا تجتمع في غيره من الكلام: إيجاز اللفظ وإصابة المعنى وحسن التشبيه وجودة الكفاية، فهو نهاية البلاغة»⁽²⁾.

أهمية الأمثال والحكم العربية في العصر الجاهلي:

هذا لا يخفى على كل من له أدنى إلمام بالأدب العربي في العصر الجاهلي أن الأمثال العربية لها أهمية كبرى ومكانة مرموقة في العرب وهي خلاصة وثمرات الناس وتجاربهم، بها تتطق ألسنتهم وتصف أحوالهم الفكرية والاجتماعية والأدبية والثقافية والتاريخية والوطنية والأخلاقية، وتترجم واقعهم وآمالهم وآلامهم، في عبارات بليغة موجزة وتعبر في أبلغ بيان عن واقعهم وحياتهم، ويمكن القول أن الأمثال لأي أمة من الأمم هي صوتها القوي وقلبها النابض وضميرها الحي وعقلها الواعي. وقال ابن الجوزية: ففي الأمثال من تأنس النفس وسرعة قبولها وانقيادها لما ضرب لها مثله من الحق لا يجحده أحد ولا ينكره وكلما ظهرت الأمثال ازداد المعنى ظهوراً ووضوحاً، فالأمثال شواهد المعنى المراد، وهي خاصية العقل ولبه وثمرته. وقال الإمام السيوطي: «المثل ما ترضاه العامة والخاصة في لفظه ومعناه، حتى ابتدلوا فيما بينهم، وفاهوا به في السراء والضراء واستدروا به الممتع من الدر ووصلوا به المطالب القصية،

(1) - أحمد حسن الزيات. تاريخ الأدب العربي، ط2، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الفجالة، القاهرة 2001م. ص: 56.

(2) - عمر فروخ. تاريخ الأدب العربي، ط3، دار العلم للملايين، بيروت، 2008 م. ص: 76.

وتفرجوا به عن الكرب والكربة وهو من أبلغ الحكمة لأن الناس لا يجتمعون على ناقص أو مقصر في الجودة أو غير مبالغ في بلوغ المدى في النفاسة»⁽¹⁾.

وأن العرب كانوا ذا نفوس حساسة وأولو غيرة وأصحاب ارتجال، فدفعهم كل ذلك إلى مساهمة كبيرة في الأمثال، واستخدموها في كل مجال من المجالات المختلفة، فلا يخلو موقف من حياتنا العامة إلا ونجد مثلا ضرب عليه، ولا تخلو خطبة مشهورة ولا قصيدة سائرة من مثل رائع مؤثر في حياتنا.

تطور الأمثال والحكم العربية الجاهلية عبر التاريخ:

من المعلوم لدى الجميع أن نشأة الأمثال العربية كما نشأت في العصر الجاهلي وتطورها كما تطورت لا يمكن تحديدها بالسنة، لأن المعلومات عنها ما وجدت مكتوبة كالخطابة بأن الكتابة ما كانت رائجة في ذلك العصر كيومنا هذا، ولكنها-كما علمت بالدراسة والمطالعة- فن قديم يصاغ انطلاقاً من تجارب وخبرات عميقة، يحمل تراث أجيال متلاحقة، بتناقلها الناس شفاهاً أو كتابة، تعمل على توحيد الوجدان والطبائع والعادات، وقد تقوم في هذا المجال بدور فعال في دفع عجلة المجتمع إلى الأمام باتجاه التطور والبناء. لذلك ينظر إليها باعتبارها وثيقة تاريخية واجتماعية، نشأت مع نشوء ذبوع الكتابة وقد استغلتها بعض الأمم قديماً (كالسومريين مثلاً) إلى جعلها وسيلة تعلم، فنقشوها على ألواحهم، كونها تراثاً شفهيًا لدى كل الشعوب القديمة مع اختلافها في الطابع والثقافة ومعايير عاداتهم الخاصة.

وهذه حقيقة أن العرب كانوا متصفيين بطلاقة اللسن وفصاحة البيان وبلاغته وأناقته اللهجات واختيار الكلمات الجزلة الجذابة وارتجال وبيده وكثرة المعاني في قلة الألفاظ في انشاد الأشعار وإلقاء الخطب، ولديهم كانت رغبة صادقة وشوقاً شديداً أن يكون لكل قبيلة شاعر ليرفع ذكرهم أو خطيب ليشد أزهم وربما يجتمع الصفتان في واحد. فكل ذلك دفعهم إلى المساهمة الكبيرة في الأمثال العربية بكل وسيلة من الوسائل المتوفرة في المفاخرات والمنافرات المنعقدة في الأسواق والمجالس الأندية والأماكن الأخرى بكل من ذلك لقيت الأمثال العربية الشبوع والذبوع في ذلك العصر، وكذلك الحال حتى جاء عهد التدوين والتأليف، واهتم علماء العرب والعجم بجمع الأمثال العربية بالتأليف والتصنيف ونشر المقالات في المجلات والجرائد، وبهذه الخدمات الجليلة لعبوا دوراً فعالاً في تطور الأمثال العربية عبر التاريخ. هناك استعرض تلك الوسائل التي لها دور هام في تطور الأمثال العربية في العصر الجاهلي والعصور الأخرى وتحفظها من الاندثار والانحطاط تبعا لأحوال العمران بمر العصور والدهور⁽²⁾.

أسباب انتشار الحكم والأمثال في العصر الجاهلي:

(1)-ينظر: ابن الأثير، عزالدين أبو الحسن علي بن محمد. الكامل، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1967م. ص: 85.

(2)- ينظر: الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. الحيوان، ج2، ط3، الحلبي، القاهرة، 1978م. ص ص 125-126.

لاقت الحكم والأمثال شهرة كبيرة في العصر الجاهلي، حيث أنها انتشرت على ألسنة الناس عامّة، وربما يعود ذلك لما امتاز به العرب من فصاحة وبلاغة وتجارب كثيرة في الحياة، ومن أبرز من قالوا أشهر الحكم والأمثال في العصر الجاهلي: لبيد بن ربيعة، قس بن ساعدة، امرؤ القيس، ربيعة بن حذار، عامر بن الظرب العدواني، سهيل بن عمرو، هرم بن قطبة الفزاري وأكثم بن صيفي التميمي، كما يمكن تلخيص أهم الأسباب التي أدت لانتشار أشهر الحكم والأمثال في العصر الجاهلي على ألسنة هؤلاء الأشخاص بما يلي:

البيئة الفطرية التي تسود فيها الأمية وتشدد الحاجة فيها إلى التجارب المستخلصة بصورة أقوال لها معنى صادق. ارتباط المثل بحادثة أو حكاية ساعدت على انتشاره. صياغة الأمثال في غالب الأحيان في عبارة حسنة، يظهر فيها دقة التشبيه بين مورد المثل والمناسبة التي قيل فيها بما يرضي فيها الذوق العربي. شيوع الحكم على الألسنة وذلك لاعتمادها على التجارب واستخلاص العظة من الحوادث والتمكن من الناحية البلاغية⁽¹⁾.

أصحاب الحكم والأمثال في العصر الجاهلي:

أكثم بن صيفي، وربيعه بن حذار، وهرم بن قطيعة، وعامر بن الظرب، ولبيد بن ربيعة، أما أكثم فكان من المعمرين، ويقال إنه لحق الإسلام وحاول أن يعلن إسلامه فركب متوجهاً إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، غير أنه مات في الطريق، وتدور على لسانه حكم وأمثال كثيرة، وقد ساق السيوطي في المزهري وهي تجري على هذا النسق".

تقسيم الأمثال العربية:

تنقسم الأمثال العربية إلى أمثال حقيقية وأمثال فرضية.

أما الأمثال الحقيقية، لها أصل وقائلها معروف غالباً ونماذج منها:

وافق شن طبقة:

شَنَّ رجل من العرب خرج لبيحت عن امرأة مثله يتزوجها، فرافقه رجل في الطريق إلى القرية التي يقصدها، ولم يكن يعرفه من قبل. قال شن: أتحملي أم أحملك؟ فقال الرجل: يا جاهل أنا راكب وأنت راكب فكيف تحملي أو أحملك؟ فسكت شن حتى قابلتهما جنازة، فقال شن: أصاحب هذا النعش حي أم ميت؟ فقال الرجل: ما رأيت أجهل منك، ترى جنازة وتسال عن صاحبها أميت أم حي، فسكت شن، ثم أراد مفارقتها، فأبى الرجل وأخذه إلى منزله، وكانت له بنت تسمى طبقة. فسألت أباها عن الضيف فأخبرها بما حدث منه، وأبت ما هذا بجاهل؛ إنه أراد بقوله أتحملي أم أحملك: أتحدثني أم أحدثك. وأما

(1)- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. الحيوان، ج2، ط3، الحلبي، القاهرة. ص: 125.

قوله في الجنازة فإنه أراد: هل ترك عقبا يحيا به ذكره؟ فخرج الرجل وجلس مع شن وفسر له كلامه، فقال شن: ما هذا بكلامك، فصارحه بأنه قول ابنته طبقة، فتزوجها شن. ويضرب مثلا للمتوافقين⁽¹⁾.
وأما الأمثال الفرضية، فهي ما كانت من تخيل أديب ووضعها على لسان طائر أو حيوان أو جماد أو نبات أو ما شاكل ذلك والفرضية تساعد على النقد والتهمك والسخرية وخاصة في عصور الاستبداد وهي وسيلة ناجحة للوعظ والتعذيب والفكاهة والتسلية مثل كليلة ودمنة وسلوان المطاع وفاكهة الخلفاء.

نماذج الأمثال والحكم:

(قَبْلَ الرِّمَاءِ تُمَلَأُ الْكِنَائِنُ) معناه: قبل أن تخرج للصيد فعليك أن تملأ حافظات السهام بالسهام الكنائن جمع كنانة) ويُقال: للإنسان يودُّ القيام بأمر لم يستعدَّ له، كالتألب يودُّ النجاح دون كد. وعامر يدخل في المعمرى، ويقال إنه "لما أسن واعتراه النسيان أمر ابنته أن تقرع بالعصا إذا هو فه (فه: حاد وجار وانحرف) عن الحكم وجار عن القصد وابنته كانت من حكيما العرب حتى جاوزت في ذلك مقدار صحر بنت لقمان وهند بنت الخس وقال المثل في ذلك⁽²⁾: لذي اللحم قبل اليوم ما تقرع العصا. (الصيف ضيعت اللبن).

قاله عمرو بن عمرو بن عدس وكان شيخا كبيرا تزوج بامرأة فضاقت به فطلقها فتزوجت فتى جميلا وأجذبت. فبعثت تطلب من عمرو حلوبة أو لبنا، فقال ذلك المثل، ويضرب هذا المثل لمن يطلب شيئا فوته على نفسه (على أهلها جنت براقش).

وبراقش كلبة لقوم من العرب اختبأت مع أصحابها من غزاة، فلما عادوا خائبين لم يعثروا عليهم نبحت براقش فاستدلوا بنباحها على مكان أهلها فاستباحوهم.

ربما كانت مقتطعة من أبيات كاملة، مثل: "رضيت من الغنيمة بالإياب" وهو عجز بيت لامرئ القيس، "خلا لك الجو فيبضي واصفري" وهو أيضاً عجز بيت لطرفة "والبس لكل حالة لبوسها" وهو رجز قديم، لا تعرف تتمته ولا صاحبه⁽³⁾.

جزاؤه جزاء سنمار: يضرب لمن يحسن في عمله فيكافأ بالإساءة إليه.

رجع بخفي حنين: يضرب هذا المثل في الرجوع بالخيبة والفشل.

- وافق شن طبقة: يضرب للمتوافقين في أمر معين

(1)- الميداني، مجمع الأمثال. ص: 77.

(2)- المصدر نفسه. ص: 81.

(3)- المصدر السابق. ص: 83.

- الصيف ضيَعْتُ اللبَنَ: يضرب لمن يضيع أمرا على نفسه ثم يطلبه بعد فوات الأوان.
- مَصَارِعُ الرِّجَالِ تَحْتَ بَروقِ الطَّمعِ: و فيها دعوة إلى القناعة فأن الطمع يقتل صاحبه.
- رُبُّ مَلومٍ لا ذنِبَ لَهُ: وفيها دعوة إلى التحقق من الأمر قبل توجيه اللوم للبريء.
- أدبُ المرءِ خَيْرٌ مِنْ ذَهَبِهِ: معناها إن قيمة الإنسان بأدبه لا بماله.
- مَنْ فَسَدَتْ بَطانَتُهُ كانَ كالغاصِّ بالماء: وهذه تدعو إلى حسن اختيار الأعوان.

الموضوعات التي استعملت في الأمثال العربية:

كما قلت في السطور السالفة أن العرب ضربوا أمثالا في كل موضوع من الموضوعات المتنوعة وفي كل مجال من المجالات المختلفة، فلا يخلو موقف من حياتنا العامة والخاصة إلا ونجد مثلا ضرب عليه. ونعرض أمثالا حسب الموضوعات بالإيجاز والاختصار.

الصبر: في التأني السلامة وفي العجلة الندامة.

طول الببال يهدم الجبال.

صبرك عن محارم الله أيسر من صبرك على عذاب الله.

الشجاعة: استقبال الموت خير من استبداره.

عش عزيزا أو مت وأنت كريم.

ليست الشجاعة ان تقول ما تعتقد، بل الشجاعة ان تعتقد كل ما تقوله.

الحب والغيرة: الغيرة مسألة كرامة وليست مسألة حب.

الإهمال يقل الحب، والنسيان يذفنه.

في الحب كل شيء صدق.. و كل شيء كذب أيضا.

الحكمة: لاتتحد إنسانا ليس لديه شيء يخسره

لا تتطعن في ذوق زوجتك فقد اختارتك أولا

والأمثال في الغالب أصلها قصة، أي أن الموقف الأصلي الذي ضرب فيه المثل يكون قصة أدت في النهاية إلى ضرب المثل، والفروق الزمنية التي تمتد لعدة قرون بين ظهور الأمثال ومحاولة شرحها أدت إلى احتفاظ الناس بالمثال لسهولته وخفته وتركوا القصص التي أدت إلى ضربها⁽¹⁾. وفي الغالب تغلب روح الأسطورة على الأمثال التي تدور في القصص الجاهلية مثل الأمثال الواردة في قصة الزباء ومنها " لا يطاع لقصير أمر، ولأمر ما جمع قصير أنفه - بيدي لا بيد عمرو."

(1)- شوقي ضيف. العصر الجاهلي، ط3، دار المعارف، مصر، 1978م. ص: 407.

وكذلك الأمثال الواردة في قصة ثار امرئ القيس لأبيه ومنها: " ضيعني صغيرا وحملني ثاره كبيرا - لا صحو اليوم ولا سكر غدا - اليوم خمر وغدا أمر " (1) .

وربما يستطيع المحققون بجهد أن يردوا بعض هذه الأمثال لأصحابها ومبدعيها فمن حكماء العرب عدد كبير اشتهر بابتكاره وإبداعه الأمثال بما فيها من عمق، وإيجاز، وسلاسة، يقول الجاحظ: " ومن الخطباء البلغاء والحكام الرؤساء أكرم بن صيفي وربيعة بن حذار وهم بن قطيعة وعامر بن الظرب ولييدين ربيعة(2). وأحكمهم أكرم بن صيفي التميمي وعامر بن الظرب العدواني، فأما أكرم فكان من المعمرين(3) ويقال إنه لحق الإسلام وحاول أن يعلن إسلامه فركب متوجها إلى الرسول صلي الله عليه وسلم , غير أنه مات في الطريق، وتدور علي لسانه حكم وأمثال كثيرة، وقد ساق السيوطي في المزهر طائفة منها نقلا عن بن دريد، وهي تجري علي هذا النسق (4) .

"رب عجلة تهب ريثا. ادرعوا الليل فإن الليل أخفى للويل. المرء يعجز لا محالة. لا جماعة لمن اختلف. لكل امرئ سلطان على أخيه حتى يأخذ السلاح، فإنه كفى بالمشرفية واعظا. أسرع العقوبات عقوبة البغي." وعامر مثل أكرم يدخل في المعمرين (5).

ويقال أنه " لما أسن واعتراه النسيان أمر ابنته أن تفرع بالعصا إذا هو فه (فه: حاد وجار وانحرف) عن الحكم وجار عن القصد و ابنته كانت من حكيماات العرب حتى جاوزت في ذلك مقدار صحر بنت لقمان وهند بنت الخس وقال المتلمس في ذلك:

لذي اللحم قبل اليوم ما تفرع العصا وما علم الإنسان إلا ليعلما

ولكن أمثال العرب لم تأت على مثل هذه الدرجة من الرقي والانضباط الأسلوبية، مثل التي جاء بها أكرم وعامر، بل إن كثيرا من الأمثال الجاهلية تخلو من التفنن التصويري، وهذا بطبيعة الأمثال فإنها ترد على الألسنة عفوا وتأتي على السنة العامة لا محترفي الأدب، فلم يكن من الغريب أن يخرج بعضها علي القواعد الصرفية والنحوية دون أن يعيها ذلك مثل أعط القوس باريها (بتسكين الياء في باريها والأصل فتحها)، وأيضا (أجنأؤها أبنأؤها) جمع جان وبان والقياس الصرفي جناتها بناتها لأن فاعلا

(1)-شوقي ضيف. العصر الجاهلي. ص: 408.

(2)- الجاحظ. البيان والتبيين 1/365.

(3)- العسكري علي هامشه. جمهرة الأمثال 1/120.

(4)- السيوطي. المزهر. ص: 321.

(5)- شوقي ضيف. العصر الجاهلي. ص: 407.

لا يجمع علي أفعال وهذا يثبت أن المثل لا يتغير بل يجري كما جاء علي الألسنة وأن خالف النحو وقواعد التصريف⁽¹⁾ .

وبعض الأمثال يغلب عليها الغموض ويدل تركيبها على معنى محدد لا تؤدي إليه الكلمات المفردة ومن ذلك قول العرب (بعين ما أرينك) أي أسرع. ولم يكن هذا النوع من الأمثال هو الوحيد بل هناك أمثال صدرت عن شعراء مبدعين وخطباء مرموقين فجاءت رغبة الأسلوب متألفة بما فيها من جماليات الفن والتصوير مثل: أي الرجال المهذب، فهذا المثل جزء من بيت للنابغة يضرب مثلا لاستحالة الكمال البشري والبت :ولست بمستبق أخوا لا تلمه على شعث أي الرجال المهذب والأمثال في الأدب الجاهلي يصعب تمييزها عن الإسلامي. لاختلاطهما ببعض عند الرواة والمؤلفين، ولكن ما يشير إليه من حادث أو قصة أو خبر مما يتصل بالجاهلية يساعد على معرفه الجاهلي وتمييزه من الإسلامي مثل: (ما يوم حليلة سر) وحليمة بنت ملك غسان ويضرب هذا المثل للأمر المشهور الذي لا يكاد يجهل) وقد يدل على جاهلية المثل أن يكون مخالفا لتعاليم الإسلام ومبادئه مثل: (اليوم خمر وغدا أمر).

والأمثال إما حقيقية أو فرضية فالحقيقة: لها أصل وقائلها معروف غالبا والفرضية ما كانت من تخيل أديب ووضعها على لسان طائر أو حيوان أو جماد أو نبات أو ما شاكل ذلك والفرضية تساعد على النقد والتهمك والسخرية وخاصة في عصور الاستبداد وهي وسيلة ناجحة للوعظ والتهديب والفكاهة والتسلية مثل كليلة ودمنة وسلوان المطاع، وفكاهة الخلفاء⁽²⁾ .

بعض القصص الحقيقية التي أدت في النهاية إلى ضرب مثل:

(رجع بخفي حنين) كان حنين إسكافا فساومه أعرابي على خفين فاختلفا، فأراد حنين أن يغيظ الأعرابي، فأخذ أحد الخفين وطرحه في الطريق، ثم ألقى الآخر في مكان آخر، فلما مر الأعرابي بأحدهما قال ما أشبه بخف حنين ولو كان معه الآخر لأخذته، ثم مشى فوجد الآخر، فترك راحلته وعاد ليأتي بالخف الأول، وكان حنين يكمن له فسرق راحلته ومتاعه. وعاد الأعرابي إلى قومه يقول لهم جئتم بخفي حنين. ويضرب هذا المثل لمن خاب مسعاه.

(الصيف ضيعت اللبن) قاله عمرو بن عمرو بن عدس وكان شيخا كبيرا تزوج بامرأة فضاقت به فطلقها فتزوجت فتى جميلا وأجدبت. فبعثت تطلب من عمرو حلوبة أو لبنا، فقال ذلك المثل، ويضرب هذا المثل لمن يطلب شيئا فوته على نفسه.

(1) - ينظر: زينب فؤاد. من تيارات الأدب الجاهلي، جامعة أسيوط. ص: 196.

(2) - محمد عبد المنعم خفاجي. الأدب الجاهلي. ص: 146.

(على أهلها جنت براقش) وبراقدش كلبة لقوم من العرب اختبأت مع أصحابها من غزاة، فلما عادوا خائبين لم يعثروا عليهم نبحت براقش فاستدلوا بنباحها على مكان أهلها فاستباحوهم.

(وافق شن طبقة) شنّ رجل من العرب خرج ليبحث عن امرأة مثله يتزوجها، فرافقه رجل في الطريق إلى القرية التي يقصدها، ولم يكن يعرفه من قبل. قال شن: أتحملي أم أحملك؟ فقال الرجل: يا جاهل أنا راكب وأنت راكب فكيف تحملي أو أحملك؟ فسكت شن حتى قابلتهما جنازة، فقال شن: أصحاب هذا النعش حي أم ميت؟ فقال الرجل ما رأيت أجهل منك، ترى جنازة وتساءل عن صاحبها أميت أم حي، فسكت شن، ثم أراد مفارقتها، فأبى الرجل وأخذه إلى منزله، وكانت له بنت تسمى طبقة. فسألت أباه عن الضيف فأخبرها بما حدث منه، فقالت يا أبت ما هذا بجاهل؛ إنه أراد بقوله أتحملي أم أحملك: أتحدثني أم أحدثك. وأما قوله في الجنازة فإنه أراد: هل ترك عقبا يحيا به ذكره؟ فخرج الرجل وجلس مع شن وفسر له كلامه، فقال شن: ما هذا بكلامك، فصارحه بأنه قول ابنته طبقة، فتزوجها شن. ويضرب مثلا للمتوافقين (1).

قصص خرافية على ألسنة الحيوانات:

هناك بعض القصص الخرافية على ألسنة الحيوانات صارت أمثالا، وبهذا لم يكن المثل كإبداع سريع كما سبق أن رأينا وإنما يكون جزءا من شكل إبداعي أوسع وألصق بعمل الخيال الخلاق، ومن هذه القصص:

- قصة الغراب والديك: في الكثير من الروايات من أحاديث العرب أن الديك كان نديما للغراب، وأنهما شربا الخمر عند خمار ولم يعطياه شيئا، وذهب الغراب ليأتيه بالثمن حين شرب، ورهن الديك فخاس به فبقي محبوبا محمد عبد النعيم" (2).

وربما لهذا الغدر تشاءمت العرب من الغراب ورأته نذيرا بالفرقة والخراب ربما لأنه تسبب في فقدان الديك حريته، واستنثاره لدي البشر حتى اليوم.

- الاحتكام إلى الضب: أما القصة التي أبدعها العرب لتبرير عدد كبير من الأمثال فهي قصة احتكام الأرنب والثعلب إلى الضب، وتكاد كل جمل الحوار فيها تكون أمثالا وتميزت بالحيوية، ومرح الموقف، وقصر العبارة، وسلاستها، ودقة وعمق ما فيها من أمثال، إلى جانب تعدد شخوصها وصدق التعبير عن سماتها النفسية

هذا مما زعمت العرب على ألسن البهائم، قالوا إن الأرنب التقط ثمره فاختلسها الثعلب فأكلها، فانطلقا يتخصمان إلى الضب.

فقال الأرنب: يا أبا الحسل (كنية الضب)

(2)- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. الحيوان. ص ص 125-126.

فقال الضب: سميعا دعوت.

فقال أتيناك لنختصم إليك.

قال: عادلا حكمتما.

قالت: فاخرج إلينا

قال: في بيته يؤتي الحكم.

قالت: إني وجدت ثمره.

قال: حلوة فكليها.

قالت: فاختلسها الثعلب.

قال: لنفسه بغى الخير.

قالت: فلطمته.

قال: بحقك أخذت.

قال: فلطمني.

قال: حر انتصف (أي اقتص لنفسه)

قالت: فاقض بيننا.

قال: قد قضيت.

فذهبت أقواله كلها أمثالا⁽¹⁾.

رأينا كيف كانت الأمثال في ذلك العصر، وبما تميزت به الأمثال من خفه ودقة وسلاسة وإيجاز وعمق ما فيها من حكمه وصواب رأي، وكيف أبدعوا العرب قبل الإسلام في الأمثال، فحياتنا الآن لا تخلو من أمثالهم وحكمهم.

استنتاج:

هي مرآة تتعكس عليها صورة الحياة الاجتماعية والسياسية والطبيعية، وهي تعبير يصدر عن عامة الناس دون تكلف، ولهذا يتجه الباحثون عن طبائع الشعوب إلى دراسة أمثالها. وربما كانت هذه وحدها التي وصلت إلينا كلها كما نطق بها أصحابها بلا تغيير أو تحريف ولا زيادة أو نقص؛ لما تمتاز به من تركيز بالغ وإيجاز شديد، وقبول للحفظ والشيوخ على الألسنة في كل مناسبة، وبذلك تكون اصح ما بقي من النصوص النثرية الجاهلية وأقربها إلى أصولها الأولى، وإن كانت لا تقدم صورة كاملة عن النثر الجاهلي.

(1) - الميداني، مجمع الأمثال. ص: 72.

بعض المصادر والمراجع المعتمدة:

- مقدمة. ابن خلدون، تحقيق: درويش الجويدي، المكتبة العصرية صيدا . بيروت، 1425 هـ / 2005 م.
- البرهان في وجوه البيان: أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب، تقديم وتحقيق. حفني محمد شرف، مكتبة الشباب القاهرة، ط1 .
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. ضياء الدين أبو الفتح نصر الله الموصلي، المطبعة البهية، مصر، د.ت.
- كتاب الإمتاع والمؤانسة. أبو حيان التوحيدي، صححه وضبطه وشرح غريبه: أحمد أمين وأحمد الزين، منشورات دار مكتبة الحياة، د.ط، د.ت.
- كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر). أبو هلال الحسن العسكري، تحقيق: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى 1401 هـ . 1981 م.
- العقد الفريد. ابن عبد ربه الأندلسي، شرحه وضبطه: أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الديبباري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1375 هـ . 1956 م، د.ط، الجزء الرابع.
- إحكام صنعة الكلام لذي الوزارتين. أبي القاسم محمد بن عبد الغفور الإشبيلي الأندلسي، تحقيق: رضوان الداية، دار الثقافة بيروت 1966، د.ط.
- العصر العباسي الأول. شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية، د.ت.
- حول مفهوم النثر الفني عند العرب القدامى. البشير المجذوب، الدار العربية للكتاب، د.ط، د.ت.
- الفن ومذاهبه في النثر العربي. شوقي ضيف، مكتبة الأندلس بيروت، الطبعة الثانية، 1956.
- كتاب الإمتاع والمؤانسة. أبو حيان التوحيدي، صححه وضبطه وشرح غريبه: أحمد أمين وأحمد الزين، منشورات دار مكتبة الحياة، د.ط، د.ت.
- الأدب وفنونه. محمد مندور، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، د.ط، د.ت.
- النثر الفني في القرن الرابع. زكي مبارك، دار الكتب المصرية القاهرة، ج1، 1352 هـ / 1934 م.
- العصر الجاهلي. شوقي ضيف. دار المعارف مصر.
- الأدب الجاهلي. محمد عبد النعيم خفاجي - دار الكتاب ، القاهرة.
- الحيوان. الجاحظ. ج2، ط1، القاهرة.
- مجمع الأمثال. الميداني. ج 2، ط1، القاهرة.
- تاريخ الأدب العربي. شوقي ضيف، دار المعارف القاهرة، ط11، 1975م.
- تاريخ الأدب العربي. أحمد حسن الزيات، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الفجالة، القاهرة، 2001م
- تاريخ الأدب العربي، عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت، 2008م

-كتاب الأمثال. الفضل الضبي

- م. غلوفينسكي، الأجناس الأدبية، ترجمة: محمد مشبال، مجلة الصورة، السنة الرابعة، العدد 4، 2002م.
- أحمد زكي صفوت. جمهرة خطب العرب في عصوره العربية الزاهرة، ط1، مصر، 1352هـ/1933م.